الخطاب والسلطة

تأليف: توين فان دايك
ترجمة: غيداء العلي
مراجعة وتقديم: عماد عبد اللطيف

المركز القومي للترجمة

2419

الخطاب والسلطة

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: رشا إسماعيل

- العدد: 2419
- الخطاب والسلطة
- توين فان دايك
- غيداء العلى
- عماد عبد اللطيف
- الطبعة الأولى 2014

هذه ترجمة كتاب:

Discourse and Power
By: Teun A. van Dijk
Copyright © 2008 by Teun A. van Dijk
Arabic Translation © 2014, National Center for Translation
First published in English by Palgrave Macmillan, a division of Macmillan Publishers Limited under the title "Discourse and Power By Teun A. van Dijk". This edition has been translated and published under license from Palgrave Macmillan. The author has asserted his right to be identified as the author of this work.
All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة
شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

الخطاب والسلطة

تأليـــــــــف : تويـــن فـــان دايك
تـــرجمـــــــة : غيـــداء العلـــــي
مراجعة وتقديم : عمـــاد عبـــد اللطيف

2014

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

دايك، توين فان
الخطاب والسلطة/ تأليف: توين فان دايك ، ترجمة: غيداء العلي، مراجعة وتقديم: عماد عبد اللطيف
ط ١ – القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٤
٥٧٢ ص، ٢٤ سم
١ – السياسة – مقالات ومحاضرات.
٢– الخطب السياسية
(أ) العلي، غيداء (مترجم)
(ب) عبد اللطيف ، عماد (مراجع، ومقدم)
(ج) العنوان ٣٢٠,٠٤

رقم الإيداع ٩٦٤٨ / ٢٠١٣

الترقيم الدولي: I.S.B.N - 978 - 977- 718 - 354 - 3

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المركز.

المحتويات

تقديم المراجع..... 7

شكر وعرفان..... 17

توطئة..... 19

الفصل الأول: مقدمة – الخطاب والهيمنة 29

الفصل الثانى: بُنى الخطاب وبُنى السُّلطة..... 77

الفصل الثالث: الخطاب، والسّلطة، والمدخل..... 149

الفصل الرابع: تحليل الخطاب النقديّ..... 189

الفصل الخامس: الخطاب والعنصريّة..... 219

الفصل السادس: الخطاب وإنكار العنصريّة..... 255

الفصل السابع: الخطاب السّياسيّ والإدراك السّياسيّ..... 325

الفصل الثامن: البلاغة الحربيّة للحليف الصغير: التّضمينات السّياسيّة وإضفاء أزنار للشّرعية على حرب العراق..... 383

الفصل التاسع: الخطاب والتّلاعب..... 429

الفصل العاشر: بناء السياق في الخطاب البرلماني: أزنار والعراق وتداوليات الكذب..... 479

المراجع..... 519

مزيد من القراءات..... 547

مسرد المصطلحات..... 553

تقديم المراجع

مدخل إلى "الخطاب والسلطة"

عماد عبد اللطيف

شهدت ستينيات القرن العشرين تحولات جذرية في خريطة علوم اللغة؛ كان من نتائجها ظهور علوم جديدة مثل التداولية وتحليل المحادثة وتحليل الخطاب، كما اتسعت خريطة العلوم البينية؛ لتفسح المجال أمام عشرات الحقول التي تدرس ظواهر مشتركة بين معارف متنوعة؛ مثل علم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة السياسي، وهلم جرا، وقد تركت هذه التغيرات الجذرية في العلوم الإنسانية أثرًا قويا على معظم الباحثين المعاصرين، خاصة هؤلاء الذين كرسوا حياتهم في مغامرات علمية لاستكشاف آفاق جديدة لبحوثهم، وتعبيد طرقٍ غير مألوفة من البحث والدراسة، ويُعد فان دايك واحدًا من أبرز هؤلاء الباحثين المغامرين.

في سيرته الأكاديمية "من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي" يكشف فان دايك عن التحولات التي وسمت حياته الأكاديمية المهنية، مستخدمًا في عنونة سيرته تركيبًا لغويا يفيد التحول في ذاته هو: "من (كذا).. إلى (كذا)"، ومن الجلي أن تحول اهتمامات فان دايك من نحو النص (البنيوي، الشكلي) إلى دراسات الخطاب (الاجتماعية، النقدية)- هو صدى لتحول مماثل في

بعض العلوم الإنسانية، خاصة النقد الأدبي والفلسفة، لكن تحولات فان دايك كانت محفّزة -أيضًا- بدوافع شخصية "إنسانية"؛ فهو يذكر في سيرته الذاتية أن إقامته الطويلة نسبيا في مجتمع من مجتمعات "العالم الثالث" (المكسيك) في أوائل ثمانينيات القرن العشرين، جعلته يقرر أنه آن الأوان للقيام بشيء أكثر جدية، ويُعرّف هذا الشيء الأكثر جدية بأنه "العمل في قضايا أكثر ارتباطًا بالمجتمع والسياسة"، وعلى مدار ما يزيد على ثلاثة عقود كرّس فان دايك دراساته في اللغة والخطاب لمعالجة قضايا تخص هموم البشر ومعاناتهم، وعبر عشرات الكتب والمقالات، سعى بقوة لفحص خطابات العنصرية والهيمنة والتمييز والتلاعب، ونقدها ومقاومتها؛ بواسطة تعريتها، وبواسطة التحريض ضد استخدامها، وهكذا فإن السيرة الأكاديمية لفان دايك تكشف عن انحياز واعٍ ومطلق للمهمشين والمضطهدين والمهيمَن عليهم، وهو انحياز أخلاقي، لكنه علمي أيضًا، فالمعرفة التي لا تحركها غايات نبيلة هي أيضًا معرفة ناقصة؛ لكونها لا تطمح إلى تغيير العالم نحو الأفضل.

تكشف سيرة فان دايك الأكاديمية أيضًا عن إدراك أهمية الأنشطة الداعمة للعمل الأكاديمي، مثل تأسيس دوريات أكاديمية، وفرق بحثية، وروابط وتجمعات وجمعيات أكاديمية، وربما كان هذا السعي الحميم لمؤسسة العلم يعكس إدراكًا عميقًا لتغير قواعد تطوير المعرفة، فلم يعد يستطيع فرد بمفرده - مهما بلغت إمكاناته وقدراته- أن يُحدث تحولات جذرية في حقل معرفي ما، على نحو ما رأينا في سيرورة العلم الممتدة، حتى العقود الأخيرة، لقد أسس فان دايك خمس مجلات أكاديمية بارزة، ورأس تحريرها لفترات متفاوتة، كما ساهم في تأسيس تجمعات وروابط أكاديمية مهمة، كان

لها تأثير كبير في دفع دراسات الخطاب خطوات نحو الأمام؛ بما مكّنه من ممارسة تأثير كبير على توجهات هذه الدراسات وانشغالاتها.

يعيش العلم منذ عصر النهضة حالة من المركزية الغربية، فالغرب يكاد يسيطر على حركة إنتاج العلم وتوزيعه واستهلاكه، ويقدم لنا فان دايك تجربة مهمة في نقد هذه المركزية من زاويتين: الزاوية الأولى هي نقد الهيمنة الغربية على العلم، والكشف عن الآثار السلبية لهذه الهيمنة، أما الزاوية الثانية فهي تدعيم ومساندة الأكاديميات غير الغربية، وإبراز منجزها العلمي والاحتفاء به، ويمكن أن نرى في اهتمام فان دايك الاستثنائي بالتعاون مع جامعات دول أمريكا اللاتينية على مدار أكثر من ربع قرن، دلالة على انحيازه لمعرفة غير متمركزة أوروبيا، أخذ هذا الاهتمام شكل التدريس والمحاضرة بشكل شبه دائم في جامعات أمريكا الجنوبية، وتأسيس فرق بحثية في هذه الجامعات، وإصدار كتب مشتركة، وتنظيم مؤتمرات وندوات على أراضيها، وقد أدى هذا التعاون إلى خلق أجيال من الباحثين الجدد المعنيين بدراسة اللغة في المجتمع، وأثمر عن أعمال أكاديمية مشتركة عديدة بينه وبين باحثين لاتين، وكان معبّرًا للتعريف بكتابات مهمة لباحثين من أمريكا اللاتينية.

هــذا السعي المحمود من فان دايك لدعم الأكاديميات غير الغربية – لا يقتصر على دول أمريكا اللاتينية، بل يتعداها إلى مناطق جغرافية مهمشة أخرى، من بينها منطقتنا العربية، ففان دايك أحد الباحثين الغربيين الذين يرحبون دوما بالمشاركة في فعاليات أكاديمية في العالم العربي، وقد استضافته جمعية النقد الأدبي في مصر – على سبيل المثال – في مؤتمراتها

أكثر من مرة، وهو لا يتوقف عن السعي إلى عقد صلات أكاديمية مع الباحثين من العالم العربي، بل والتنسيق فيما بينهم أيضًا! وقد جاء أول تواصل شخصي معه في إطار هذا السعي المحمود منه للتعرف على المشتغلين العرب بتحليل الخطاب، حين أرسل إليّ رسالة إلكترونية أواسط عام ٢٠٠٨، يدعوني فيها إلى المشاركة في عمل قاعدة بيانات لدارسي الخطاب في العالم العربي، وبالفعل قدمتُ له قائمة بمن أعرف منهم، واستمرت بعد ذلك لقاءاتنا العابرة في مؤتمرات دولية في أوروبا، كانت عادة ما تنتهي بعبارة "شكرًا" التي ينطقها فان دايك بعربية باسمة.

هذا الانحياز للهامش الحضاري والثقافي عند فان دايك - يوازيه انحياز للهامش المجتمعي، فقد حرص دايك على مدار العقود الثلاثة الأخيرة في كتاباته وممارساته الأكاديمية على نقد إساءة استعمال السلطة، كما تتجلى في الخطاب، وهكذا انخرط في دراسات موسعة - بمعاونة فرق عمل كبيرة في الغالب - في دراسة الخطابات الشخصية والجماهيرية والمؤسسية، بهدف فهم الكيفية التي تمارس بها بعض هذه الخطابات أشكالاً متنوعة من إساءة استعمال السلطة والظلم الاجتماعي، ضد الأقليات والمهمشين؛ مثل السود أو الملونين أو اليهود أو المسلمين أو المهاجرين في عمومهم، ويبدو هذا الانحياز الصارم للضعفاء فضيلة أخرى من فضائل العلوم الاجتماعية عند أجيال جديدة من الباحثين الذي ينتمي إليهم فان دايك، وإذا كان المهمشون بشرًا وشعوبًا هم أصحاب المصلحة الأصليون في مثل هذه الدراسات، فإن إتاحتها لهم، واطلاعهم عليها، وتعريفهم بنتائجها - أمر واجب أكاديميا وإنسانيا، ومن هنا تأتي أهمية ترجمة هذه الدراسات، على المستوى

الأكاديمي والثقافي من ناحية، وعلى المستوى الإنساني من ناحية أخرى، ولعل هذا كان الحافز على ترجمة كتاب "الخطاب والسلطة"، إلى القارئ العربي.

إضافة إلى ذلك، ترجع أهمية ترجمة الكتاب الحالي إلى وجود قلة نسبية في الكتابات المعنية بتحليل الخطاب، في المكتبة العربية، فعلى الرغم من أن السنوات القليلة الماضية شهدت تزايد الاهتمام بدراسات الخطاب، فما تزال الكتابات المترجمة والمؤلفة في هذا الحقل محدودة كمًا وكيفًا على المستوى العربي، وذلك على الرغم من التأثير الهائل الذي يمارسه هذا الحقل المعرفي في الدراسات الإنسانية والاجتماعية المعاصرة، والنتاج الأكاديمي المذهل في تنوعه وثرائه في لغات أخرى، خاصة الإنجليزية، ولسد هذه الفجوة – خاصة في ظل ضعف اتصال كثير من الباحثين العرب بالكتابات الأجنبية مباشرة – من الضروري التصدي لترجمة الكتابات المؤسسة في تحليل الخطاب، ومن بين هذه الأعمال تأتي بالطبع، كتابات فان دايك، ويمكن القول إن كتاب "الخطاب والسلطة" يُعد اختيارًا جيدًا للتعريف بمساهمات المؤلف في دراسة الخطاب، فالكتاب الذي يتكون من عشر مقالات، يضم دراسات محورية كان لها تأثير في مسار تحليل الخطاب على مدار عقدين من الزمان، كما أنه يكشف عن تطور أدوات فان دايك ومنظوراته ومصطلحاته وانشغالاته على مدار هذه الفترة.

إضافة إلى ذلك فإن الكتاب يُعالج جملة من القضايا الاجتماعية – الخطابية المهمة، ويمكن حصر الموضوعات التي ينشغل بها فيما يأتي:

أولاً: العنصـــرية: وعلـــى وجـــه التحديد، التمييز والتحيز ضد الأقليات العرقية (مثل السود والمسلمين.. إلخ) وضد المهمَّشين (المرأة، والفقراء.. إلخ).

ثانيًا: التلاعب السياسي: وعلى وجه التحديد، كيف تبرر الأنظمة الحاكمة عدوانها على شعوب ودول مستضعفة؟ وكيف تحاول إضفاء الشرعية على الحروب غير العادلة؛ كما هو الحال في الاحتلال الأمريكي للعراق، المدعوم من بعض الدول الغربية؟

ثالثًا: الهيمنة: وعلى وجه التحديد، كيف تُمارَس الهيمنة في فضاءات السياسة والإعلام والتربية.. إلى آخره؟ وما دور الخطاب في إنجاز الهيمنة، ومقاومتها؟ وما الأدوات التي يُمكن أن تُسهم في إنتاج خطاب سياسي وإعلامي وثقافي وتربوي .. إلخ خالٍ منها؟

رابعًا: سُبل السيطرة على الخطاب: ويكرس فان دايك فصلاً وعدة أجزاء من فصول أخرى لدراسة ظاهرة السيطرة على الخطاب، بواسطة السيطرة على منافذ أو مداخل الخطاب (من له حق الكلام؟ وأين؟ ومتى؟ وكيف؟)، والسيطرة على عمليات توزيع الخطاب واستهلاكه، وتوجيه التأويلات الممكنة له. كما درس على مدار خطابه، الدور الذي تمارسه النخب (السياسية والثقافية والتعليمية.. إلخ)، في دعم خطابات السلطة، وفي إحكام السيطرة على الخطاب العام، بهدف خدمة الجماعات والمؤسسات المهيمنة.

كما يقدم الكتاب إسهامات نظرية مهمة، تهدف إلى تطوير العدة النظرية لدراسات الخطاب، وعلى وجه التحديد، فإن فان دايك يحاول في

مقاربته للخطاب أن يوظف مفاهيم إدراكية وتفاعلية بهدف تحقيق فهم أفضل للعلاقة بين الخطاب والمجتمع، وفي إطار هذا الفهم يتوجه الاهتمام أساسًا إلى عمليات التفاعل المحيطة بالخطاب، وعمليات معالجته في الذهن، ويُعد هذا الاهتمام بالأبعاد المعرفية والتفاعلية للخطاب من أهم خصوصيات مقاربة فان دايك للخطاب، وربما يكمن وراء تسميتها بالمقاربة الاجتماعية الإدراكية (المعرفية).

لقد تصدى فان دايك عبر مقالات الكتاب إلى تحليل عدد كبير من الأنواع المكتوبة والمنطوقة، فقد درس الحوارات الشخصية، ومحادثات العمل، والمداولات البرلمانية، والخطب السياسية، وافتتاحيات الصحف، ومقالات الرأي، والتصريحات السياسية، والكتب المدرسية، والتقارير الإخبارية، وغيرها، وهو ما يضفي على كتابه ثراءً في المادة المدروسة، يوازيه ثراء في أدوات التحليل، فهو يستعين بأدوات من علوم اللغة والسيميوطيقا والبلاغة ودراسات الأدب وعلم النفس والسياسة والفلسفة وعلم الاجتماع وغيرها.

يتضمن الكتاب عشر مقالات مستقلة، نُشرت على فترات زمنية متباعدة نسبيا، ولم يُحدث المؤلف أية تعديلات على المقالات الأصلية، وقد أدى ذلك إلى بعض المشكلات، أشار المؤلف إلى إحداها وهي تكرار عديد من الأطروحات والموضوعات بسبب تقارب انشغالات بعض المقالات؛ كما نرى في الفصول الخاصة بالخطاب والعنصرية والخطاب وإنكار العنصرية، والفصلين الخاصين بمحاولات رئيس الوزراء الإسباني الأسبق خوسيه أثنار إضفاء الشرعية على دعمه للغزو الأمريكي للعراق، عام ٢٠٠٣.

أما المشكلة الثانية فهي وجود تفاوت في دلالة المفاهيم أو صياغة المصطلحات بسبب تطور مشروع فان دايك في تحليل الخطاب، ولعل هذا يتضح بجلاء من خلال مثال دال هو التسمية التي يطلقها المؤلف على هذا الحقل المعرفي، ففي مقدمة الكتاب يحاجج لصالح استخدام مصطلح "دراسات الخطاب النقدية ***Critical Discourse Studies***"، مبرزًا الأسباب التي تجعله رافضًا (أو على الأقل متحفظًا) على استخدام التسمية الأكثر شيوعًا للإشارة على هذا الحقل المعرفي؛ أعني: تحليل الخطاب النقدي ***Critical Discourse Analysis***. لكنه على مدار فصول تالية (مثل الفصول الثالث والخامس والسادس والسابع) يستخدم التسمية الثانية التي يتحفظ عليها في المقدمة، بل إن الفصل الرابع يحمل عنوان "التحليل النقدي للخطاب ***Critical Discourse Analysis***"، وهي التسمية التي يتحرز فان دايك في مقدمته على استخدامها، يبدو هذا التفاوت الاصطلاحي طبيعيا إذا نظرنا إليه من زاوية زمنية؛ فهذه الفصول مكتوبة في مرحلة زمنية سابقة في تطور أفكار فان دايك، وهي تنتمي إلى ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين.

وفي الحقيقة فإن أفكار فان دايك حول تحليل الخطاب شهدت تطورات مهمة في العقد الأول من القرن العشرين، كان من أبرزها انشغاله بقضايا مميّزة تقع في دائرة العلاقة بين الإدراك والخطاب؛ مثل المعرفة والسياق، وربما كان بحاجة في مقدمة كتابه الحالي أن يُلقي الضوء على هذا التطور في الانشغالات البحثية والمفاهيم والمصطلحات، وربما كان ليتمكن لو فعل هذا من وضع مقالاته في سياق أكثر تاريخية، يتيح تتبع تطور مشروعه، كما تعكسه مقالات الكتاب المتعددة، وعلى الرغم من ذلك، فإن الكتاب يقدم أفكارًا

وأطروحات شديدة الأهمية لدارسي الخطابات العامة في العالم المعاصر، ويطرح رؤى ثاقبة بشأن الظواهر المتنوعة لإساءة استعمال السلطة، وينطلق من أرضية تؤمن بأن المقاربة المعرفية النقدية للظلم الاجتماعي قد تكون أولى الخطوات الضرورية للخلاص منه، ولا شك أنه سوف يشكل مرجعًا مهما للباحثين العرب في العلوم الإنسانية قاطبة.

د/عماد عبد اللطيف

القاهرة، ديسمبر، ٢٠١٢